

لالة زينب الهاملية ودورها في المقاومة الثقافية قراءة في قصيدة شعرية مخطوطة للشيخ محمد بن أحمد القماري

الأستاذ تقي الدين بوكعب

جامعة وهراء 1

توطئة: لقد أدى الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى إحداث فوضى عارمة في البلاد خاصة الحياة الفكرية والعلمية بحيث ترك أغلب المفكرين والمشايخ مدارسهم وزواياهم لكي يلتحقوا بصفوف المجاهدين والمدافعين عن البلاد، ما أدى في الأخير إلى محاولة تحطيم معالم ثقافة وفكر الجزائريين من خلال الاستحواذ على الأوقاف وبناء مدارس لتعليم اللغة الفرنسية وتغير والتدخل في المناهج الدراسية التي كانت تقدم للطلبة في الزوايا.

ولقد قاومت بعض هذه الزوايا الاحتلال الفرنسي سلميا من خلال مواصلة تعليم الأهالي اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي، من بينها الزاوية الهامل الرحمانية التي تعتبر من بين أهم الزوايا التي استطاعت الصمود في وجه الهيمنة الفكرية للاستعمار الفرنسي، هذا راجع لحنكة ونباهة شيوخها خاصة السيدة زينب القاسمية. وهي المرأة التي تولت شؤون الزاوية بعد وفات والدها الشيخ محمد بن أبي القاسم، استطاعت أن تحافظ على إرث أبيها وتحافظ على الزاوية أمام الضربات الاستعمارية.

لقد حاول الفرنسيون تصوير المرأة الجزائرية على أنها كائن أمي جاهل وعلى أن المجتمع الجزائري ذكوري إقصائي يلغي الأنثى ويحرمها أبسط حقوقها، ومن هنا جاءت حركات التبشير والاستشراق تضع نصيب عينها هدف إنقاذ المرأة الجزائرية. فهل كانت المرأة فعلا جاهلة؟ وهل كان المجتمع الجزائري رجاليا يقصى عنصر الإناث؟ ومن هي السيدة لالة زينب؟ وماذا قدمت للزاوية وللحياة الفكرية في الجزائر؟ وكيف استطاعت أن تواجه الإدارة الفرنسية؟

نسب السيدة زينب: هي زينب بنت أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ربيع بن محمد بن عبد الرحيم بن سائب بن منصور بن عبد الرحيم بن ايوب بن عبد الرحيم بن علي بن رباح بن احمد بن عبد الرحيم بن عبد الكريم بن موسى بن

سليمان بن يسار بن سليمان بن موسى بن عيسى بن محمد بن عيسى بن ادريس
الاصغر بن ادريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط
بن السيدة فاطمة بنت رسول الله صل الله عليه واله وسلم¹.

ترجمة والدها: تعتبر أسرة السيدة الزينب من الأسر الشريفة التي ينتهي نسبها إلى
رسول الله صل الله عليه واله وسلم، كما تعتبر من الأسر العلمية العريقة فأبوها
مؤسس زاوية الهامل ولد الشيخ محمد في رمضان 1239هـ، ببادية الحامدية قرب
بلدتي دار الشيوخ وحاسمي بجح بولاية الجلفة حالياً²، نشأ في كنف والديه
الكريمين عزيزا مكرما.

تعلم في قرية الهامل على يد أحد علماء الشرفة يسمى "سي محمد عبد القادر"
حفظ القرآن الكريم وعمره 13 سنة، فنال بذلك رضي شيخه ومعلمه الأول
وإعجاب أهل القرية، انتقل بعد ذلك إلى زاوية سيدي علي الطيار لمواصلة تعلمه،
فأتقن القراءات السبع وفن التجويد على يد الشيخ سي الصادق، كما تولت
مؤونة أكله والعناية به رجل من الأخيار يسمى عبد الواحد، في سنة 1844م انتقل
إلى زاوية سيدي السعيد بن أبي داود قرب أقبو حيث أخذ عن مؤسسها علوم
الفقه والتفسير والحديث ودرس العربية وفنونها فبرز في هذه العلوم وأجازه
شيوخه فيها.

في السنة الثانية من إقامته بالزاوية كلفه شيخه بتدريس المبتدئين وفي السنة
الرابعة عينه منابوا له في الدرس وفي السنة الخامسة أمره بالتدريس في زاوية ابن
أبي التقى قرب برج بوعريريج، وفي نهاية السنة الخامسة اجتمع بعض أعيان
أشراف الهامل بالشيخ أحمد بن أبي داود، وطلبوا منه السماح للطلاب محمد بن
أبي القاسم بالرجوع معهم إلى قريتهم ونشر العلم هناك فكان لهم ما أردوا.
رجع عام 1265هـ/ 1848م إلى الهامل فتولى التعليم في قريته مدة 9 سنوات،
شرع في التدريس بمسجد الشرفاء المعروف "بالجامع الفوقاني"، وقد عرفت دروسه
شهرة في المناطق المجاورة وكانت حلقة الفقه تعد ثمانين طالبا، ولم يفارق الجامع إلى
غاية شهر أوت 1855م³.

منذ ذلك العام والشيخ ينتقل لمدة 3 سنوات بين قريته وزاوية الشيخ المختار
بأولاد جلال للتعليم فيها ثم أقام فيها معلما سنة كاملة استجابة لرغبة الشيخ
المختار الذي طلب منه أن يبقى عنده حتى يصلي عليه يوم وفاته، كما عينه نائبا له

ثم سلمه تصريف الأمور، وعهد إليه بتربية أبنائه وتسليم أمور الزاوية إلى أحدهم من بعده فالشيخ كان يعتبره من أحسن تلاميذه، خلال هذه الفترة التي قضاهما بالزاوية أخذ محمد بن أبي القاسم عن الشيخ المختار، أورد الطريقة الرحمانية وقد أخذ محمد بن أبي القاسم الإجازة منه وبعد وفاة الشيخ رتب أمور الزاوية وأسند إدارة المقام الروحية إلى ولده مصطفى بن الشيخ المختار وعاد إلى الهامل، يستأنف نشاطه العلمي والديني.

كان الشيخ في طريق عودته من الجزائر إلى بوسعادة أين جاءه جواب من تلامذته يستدعونه للقدوم، وتوفي بعد ذلك عندهم على الساعة الثانية زوالاً من يوم الأربعاء أول محرم 1315هـ الموافق لـ 2 جوان 1897م، عن عمر يناهز 73 سنة دفن صباح الخميس على الساعة العاشرة وتولى الصلاة عليه الشيخ محمد بن الحاج محمد ودفن بمسجده بالهامل⁴.

تأسيس زاوية الهامل: إن فكرة تأسيس الزاوية تعود لمقابلة جمعت الشيخ بالأمير عبد القادر ففي عام 1260هـ/1844م، قابل الشيخ محمد بن أبي القاسم الأمير بعيداً عن منطقة الهامل، حينها أراد الشيخ محمد الالتحاق بصفوف المقاومة غادر قريته باتجاه معسكر الأمير وهناك تقابلا وعرض عليه فكرته، لكن الأمير رأى فيه رجل علم ودعوة لا رجل حرب وقاتل فشجعه لمواصلة نشاطه العلمي والاجتماعي بالتعليم ودعوة الإصلاح⁵، وفي مطلع شهر رمضان 1277هـ/1860م عاد الشيخ محمد إلى موطنه الهامل حيث استأنف التعليم وباشّر في تأسيس زاويته خلال عام 1279هـ/1862م.

لقد ساهمت عدة عوامل في التكوين العلمي للشيخ عبر مزاولته العلم في زاوية ابن أبي داود بمنطقة زواوة وهي تهتم بدراسة الفقه، إلى جانب غزارة علمه وعمله واتساع مداركه ومعارفه، إضافة إلى الخبرة التي اكتسبها الشيخ محمد من تولي المشيخة بزاوية أولاد جلال قد منحتة ثقة كبيرة ساعدته في تأسيس الزاوية بالهامل وتولى مشيختها.

سنة 1279هـ/1862م شرع الشيخ في بناء الزاوية على جهة الغرب من قرية الأشراف الهامل، في سفح جبل يقال له "عمران" وتم الإنجاز في ظرف وجيز جداً، إذ تمت أشغال البناء بعد سنة واحدة فقط من انطلاقها، ودخل الشيخ زاويته وكانت هي الوحيدة الموجودة بالمنطقة رفقة أهل والإخوان أول محرم 1280هـ

الموافق لـ 18 جويلية 1863م، وفي سنة 1281هـ الموافق 1864م شرع في بناء مسجد للطلبة ولدرس الفقه وغيره، كما أنشأ مساكن للطلبة خارجة عن منازلها فكانت نحو المائة مسكن⁶، توافد عليه العلماء والأساتذة من جميع الجهات، وتحولت الهامل مركز ثقافي أصيل ومعلم ديني مشهور، استعان الشيخ محمد بعدد من الشيوخ أشهرهم ابن أخيه محمد بن الحاج، محمد بن عبد الرحمان الديسي، عاشور الخنقي، وقد كسبت الزاوية رصيد أدبي قوي⁷.

ترجمة لالة زينب الهاملية: ولدت في بلدة الهامل عام 1855م، أشرف على تثقيفها وتهذيبها بنفسه الشيخ محمد بن أبي القاسم حتى حفظت القرآن الكريم وتفقهت على يده، لقد برهنت بعد وفاة والدها على روح حرة وشخصية قوية. تولت إدارة الزاوية بعده، بقيت في الإدارة زمنا استطاعت من خلاله إنجاز الكثير من الأعمال الهامة⁸.

درست التوحيد والفقه، ثم واصلت اطلاعها على أمهات كتب الصوفية كالرسالة القشيرية إحياء علوم الدين، الحكم العطائية حتى وصلت لدرجة طيبة في العلم⁹، تولت جرد أوقاف الزاوية كما اهتمت برعاية الأرامل المقيمات بالزاوية وذوي الحاجة، كما اجتهدت في إتمام بناء مسجد المعهد وغيرها من أعمال فهي ورثت عن أبيها أموالا وثروة غاية طائلة استخدمتها للمساعدات الاجتماعية، دامت مدة توليها الإدارة 7 سنوات توفيت لالة زينب ليلة 09 نوفمبر سنة 1905م ودفنت بجوار والدها¹⁰، لم تتزوج السيدة زينب بل سخرت حياتها للفقراء والضعفاء والمحتاجين وفي هذا الصدد تقول عن نفسها: "امرأة بكر مرجوة الخير موسومة عند العامة بالصالح تالية لكتاب الله ذات عفة وصيانة تنفق مالها في سبيل الله على ذوي القربى واليتامى"¹¹.

أوصاف السيدة زينب: كانت السيدة نحيفة الجسم وعلى وجهها آثار الجدري وآثار الوشم¹²، وقد أصابها في آخر أيامها مرض جعلها ذابلة وهذا سبب ورود هذه القصيدة التي يتفقد القماري ويسأل فيها عن الأحوال الصحية للسيدة حين يقول: "حصل لسيدتي بعض انحراف مزاج بلغ من الجسد الشريف غاية الجسد"¹³.

وصف المخطوطة ومضمونها: تقع هذه القصيدة الشعرية في لوحتين مكتوبة بخط مغربي واضح زودني بها الأستاذ فؤاد القاسمي¹⁴، بدأ ناظمها بمقدمة شرح فيها أسباب نظم هذه الأبيات والتي عددها 25 بيتا من بحر الوافر أولها:

فَلَا أُنْسَاكُم مَّهْمَا عِشْتُ يَوْمًا *** حَيَاتِي ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَلَا أُنْسَى جَمِيلَتَكُمْ عَلَيْنَا *** وَمَا أُسَدَيْتُمْ لِي مِنْ كَرَامَةٍ¹⁵

وآخر أبيات فيها قوله:

فَأَنْتَ شَمْسُ الْإِقْلِيمِ هَذَا *** تُضِيءُ فِيكَ وَالتَّيْبُ الْأَحْمَرُ
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ لِلْعِبَادِ *** يَكُمُ بِلَادُ الْمَحَلِّ تَخْضَرُ
عَلَيْكَ السَّلَامُ مِنِّي *** يُهَيِّمُنْ عَلَى رَبْعِكُمْ وَيُمْطَرُ¹⁶

صاحب المنظومة هو محمد الصالح بن احمد بن صالح القماري لم اهتدي إلى ترجمته إلا أنه يظهر أنه كان من مريدي زاوية الهامل المخلصين ومن محبي السيدة زينب الأوفياء حيث وقفت له على قصيدة ثانية يمدح فيها السيدة وينوه بخصاله ومزاياه.

أما عن دوافع نظم فقد صرح الناظم بذلك في قوله: "فالحامل على تسطير هذا الكتاب أولاً تجديد العهد بكم وثانياً لما زلت ولا ازال اسمع عنكم كل وارد وصادر... وهذا انه حصل لسيدتي بعض انحراف مزاج بلغ من الجسد الشريف غاية الجهد"¹⁷، فيظهر جلياً انه كان يسال عن أحوالها الصحية بعد أن سمع بمرضها. أما عن تاريخ هذا النظم فهو 21 ذي الحجة 1321هـ.

لغة هذه المخطوطة فصيحة سليمة ما يدل على تمكن صاحبها من أبجديات ومفردات اللغة العربية، تعكس مدى تعلق الكاتب بالسيدة زينب واهتمامه بأخبارها وأحوالها، الأمر الذي يعكس مكانة السيدة في قلوب مريدها وأتباعها وفي هذا يقول القماري:

وَلَا أُنْسَى جَمِيلَتَكُمْ عَلَيْنَا *** وَمَا أُسَدَيْتُمْ لِي مِنْ كَرَامَةٍ
لِأَنِّي عَبْدُكَ الْمَوْسُومُ حَقًّا *** يَرِقُّ دُونَ عِتْقٍ أَوْ عِلَامَةٍ
لَقَدْ أَحْيَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِي *** مِنَ الرَّحْمَنِ ثَلَقَاكَ السَّلَامَةَ

أوصاف السيدة زينب من خلال النظم: لقد أثنى الناظم على السيدة زينب كثيراً في هذه الأبيات وتمنى لو أنه يعطيها من عمره حتى تعيش مدة أطول ولو أنه يفديها بأهله ويظهر هذا من خلال قوله:

أَفْدِيكَ بِالرُّوحِ وَالْأَهَالِي *** يَا نَسَمَةَ الْعَنْبَرِ الْمُكَرَّرِ¹⁸

وكقوله:

لَوْ كُنْتُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ إِيْتَارِي *** قَاسَمْتُكَ عُمْرِي وَزِدْتُكَ الْأَكْثَرَ¹⁹

ويظهر من خلال هذا النظم أن السيدة زينب كانت تتبع السنة النبوية المطهرة
إذ يقول الناظم:

أعني بها بضعة الإمام *** ابن أبي القاسم المذكر
بالله مع سنة النبي *** محمد الهاشمي المنور²⁰

كما أنها حافظت على أوارد الطريقة الرحمانية تلقنها وتذكرها متصفة الزهد
والتقشف حيث يقول الناظم

زينبا الست بالقيام *** ولصيام الأيام تصبر
تصوم عن غيبة وذنوب *** ويكثر الأوراد تفر²¹

كما يظهر من خلال النظم أن السيدة زينب كانت تجتهد في التعليم والتدريس
والتلقين إذ يقول الناظم:

سهرها ذكر ذي الجلال *** وفي دروس العلوم تنظر²²

ويعتبر الناظم السيدة زينب فخر إقليم الجزائر لما كانت تقوم به من ادوار
علمية وفكرية إذ يقول:

فأنت شمس الإقليم هذا *** تضيئ فيك والتبر الأحمر
يا رحمة الله للعباد *** بكم بلاد المحل نخضر²³

دور لالة زينب في المقاومة الثقافية:

أ/ ظروف تولي السيدة لشؤون الزاوية:

لقد ناضلت السيدة زينب ضد السلطات الفرنسية وضد بعض أفراد عائلتها
من أجل الوصول إلى مشيخة الزاوية فحسب الرواية الفرنسية فإن الشيخ
استخلف قبيل وفاته ابن أخيه الحاج محمد على رأس الزاوية وكان هذا الأخير
تربطه علاقات جيدة مع السلطة الفرنسية²⁴، لكن اعترضت السيدة هذه الوصية
بجدة أن السلطات الفرنسية استصدرتها من والدها وهو فاقد لقواه العقلية
وبالتالي فوصيته هذه غير صحيحة، واستشهدت بوثيقة أخرى أقدم صرح فيها
والدها وبتوثيق من القاضي بأن كل أملاكه توضع تحت تصرف ابنته زينب على
شكل حبس عائلي²⁵، فاستدلت بها على خلافتها لوالدها ودخلت في صراع مع
السلطة الفرنسية ومع ابن عمها لتنتصر في الأخير بعد اعتراف القضاء الفرنسي أن
الحق كان مع السيدة زينب، ويشير سعد الله أن هذا القرار كان تفاديا لتشعب

الخلاف وإدراكا من السلطة الفرنسية بأن السيدة لن تعيشا طويلا نتيجة مرضها وضعفها²⁶.

ب/ إدارة الزاوية:

تولت السيدة أمور الزاوية بعد وفاة أبيها حيث أصبحت شبه ثانوية تدرس فيها العلوم الشرعية ويؤطرها خيرة الأساتذة والشيخ أمثال:

- الشيخ عبد الرحمن الديسي 1270-1339هـ/ 1885-1921م الذي أعطاه الشيخ القاسمي منصب الأستاذ بالزاوية واكتسبت دروسه شهرة له، عدة ما ألفات في الأدب والنحو والنسب والمنطق²⁷.

- الشيخ عاشور الخنقي 1264-1348هـ/ 1847-1929م عينه الشيخ ابن أبي القاسم مدرسا للعلوم الشرعية وله عدة مؤلفات²⁸.

نتيجة لشهرة هذا المعهد وشهرة بعض شيوخه أصبح يستقطب التلاميذ من كل أنحاء القطر الجزائري حيث كان له نظام قوي للتموين والنظام، وقيل أن السيدة زينب كانت تشرف على مداخيل الزاوية وسجلاتها²⁹، ولم يكن هؤلاء الطلبة يدفعون شيئا للدراسة بها وإنما تمول الزاوية من الزيارات والتبرعات وإحسان المحسنين³⁰، وقد قيل أن عدد الطلبة بلغ ألف طالب، وقد بلغت مداخيل الزاوية حوالي مليونين ونصف فرنك فرنسي و900 هكتار من الأراضي في بوسعادة فقط³¹. اعترف الفرنسيون أن السيدة أدارت شؤون الزاوية بشكل جيد وبنجاح³².

ج/ دوار السيدة في الحفاظ على مكتبة الزاوية:

واصلت السيدة زينب سياسة والدها في جمع والحفاظ على أنفس الكتب وفي ذلك قال القماري مادحا لها:

سَهْرَهَا ذَكَرُ ذِي الْجَلَالِ *** وَفِي دُرُوسِ الْعُلُومِ تُنْظَرُ

ولولا الاستقرار الذي عرفته الزاوية في عهدها الذي دام سبع سنوات، ومنعها التدخل الفرنسي في الشؤون الداخلي للزاوية وحرصها على الحفاظ على تركة والدها لضاعت مخطوطات مكتبة زاوية الهامل كما ضاعت الكثير من مكاتبات بعض الشيوخ والزوايا، والملاحظ لفهرس هذه المكتبة يتأكد له الأهمية الثقافية والتاريخية لهذا المعلم حيث تضم المكتبة القاسمية أكثر من 800 مخطوط في مختلف التخصصات كالتفسير والفقه والحديث والتاريخ والطب والفلك والتصوف وغيرها من التخصصات³³، وقد استفادة السيدة كثيرا من مخطوطات مكتبة

والدها³⁴ فقد كانت متعلمة ولا تكف عن المطالعة في هذه الكتب. والملاحظ أن السيدة لم تترك مؤلفا ولم تعمل على زيادة وإغناء المكتبة وإنما اكتفت بالحفاظ عليها³⁵.

د/ علاقتها ببعض العلماء:

حاولت السيدة زينب أن تحافظ على العلاقات الطيبة التي وطدها والدها مع العلماء خاصة أولئك الذين تولوا مهام التدريس بالزاوية، ومن ذلك توسطها لدى السلطات الاستعمارية من أجل إطلاق صراح عاشور الخنقي الذي نفي بمنطقة تعظمت بأقصى جبال العمور حيث بقي لمدة أربع سنوات وأفرج عنه بضمانة وكفالة السيدة زينب³⁶ بسبب ما أحدثه كتاب هذا الأخير "منار الأشرف على فضل عصاة الأشرف ومواليهم من الأطراف" من فوضى بالمنطقة.

قالوا عنها:

التقت السيدة زينب وهي على رأس الزاوية زيارة العديد من الأوربيين منهم الفنان الفرنسي قيومي والمغامرة الأدبية إيزابيل إيرهارد والرحالة بامبر والرسام المعروف ناصر الدين ديني³⁷، وهذا دليل على شهرتها كامرأة مثقفة متفتحة على الثقافات الأخرى وعلى تسامحها الديني، كان مخصص لهم بيت الضيافة يحتوي على جميع المرافق الضرورية التي تحقق لهم الراحة³⁸، وقد ترك لنا هؤلاء الزوار انطباعاتهم على السيدة حيث تقول عنها إيزابيل إيرهارد: "هي الفريدة في المغرب الإسلامي³⁹ ووصفتها كلنسي سميث بأنها: "البتن العصامية"⁴⁰.

الخاتمة:

استطاعت هذه المرأة أن تكون نموذجا للمرأة الجزائرية الواعية بتطورات العصر والقادرة على مواجهة التحديات، وما هي إلا مثال يؤكد على الخصوصية الثقافية للمجتمع الجزائري والذي كان يقر بسلطة المرأة ويدعمها فهناك العديد من الأمثلة غير مثال السيدة زينب التي تأكد هذه القاعدة ونخص بالذكر لالة فاطمة نسومر والسيدة الزهرة والدة الأمير عبد القادر.

تعتبر لالة زينب رمزا للمقاومة الجزائرية للثقافة الفرنسية وعنوان استمرارية المشروع الحضاري الذي بدأه والدها الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، هذا المشروع الذي يعتبر امتداد للمشروع الحضاري والفكري الذي كانت تعرفه

الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي والذي كان من شأنه أن يؤكد على الاستقلالية الثقافية والحضارية للجزائر.

لقد ارتطم المشروع الثقافي للآلة زينب كغيره من المشاريع الثقافية العربية الإسلامية في الجزائر بمشروع الهيمنة الفرنسية، ولذا وضعت كل العراقيل في وجهه ومنها محاولة إبعاد السيدة زينب عن رأس الزاوية، لكن شخصية السيدة القوية ومرجعيتها التاريخية مكنتها من الصمود في وجه المشروع الفرنسي التغريبي. ولا تزال زاوية الهامل إلى اليوم منبرا علميا وصرحا ثقافيا شاهدا على تضحيات الشعب الجزائري.

نص المخطوطة:

الحمد لله وصل الله على سيدنا محمد وآله وسلم بعد حمد الله جل جلاله وتعالى عزة وكماله، يصل كتابنا إلى الشريفة الأصيلة والحرّة الجليلة والدتنا السيدة زينب سليلة خاتمة المحققين وقدوة السالكين أبي البركات المنعم المقدس الأستاذ الشيخ سيدي محمد ابن أبي القاسم أمطر الله على ضريحه شأيب الرحمة والرضوان وجعل غدوه ورواحه في فرايس الجنان أمين.

السلام التام اللائق بالمقام يعم جمعكم مادامت الليالي والأيام، كيف سيدتي المرضية بالله أحوالك الزكية أجراها مولانا طبق مأمولكم على نهج السنة المحمدية وسمعنا عنكم الخير الدائم بمنه وكرمه أمين.

وبعد فالحامل لي على تسطير هذا الكتاب أولا تجديد العهد بكم، وثانيا أني لازلت ولا أزال أسأل عنكم كل وارد وصادر، حتى بلغني من بعض الخطار خبر تكدر منه العيش وصار العقل منه في تشويش وهذا أنه حصل لسيدتي بعض انحراف مزاج بلغ من الجسد الشريف غاية الجسد فقد ساءني ما سمعت من هذا الخبر المريع المهين وأنزلت خطبه بالقوي المتين وتضرعت إليه زوال هذا الألم المفاجئ فإنه المالك والحبيب، حتى حطت الألفاظ الإلاهية وحفت العناية الربانية فحمدته على ذلك وزدت في الشكر على ما هنالك، فلو وجدت سبيلا لقاسمتكم عمري وزدتكم شطر النصف الثاني لأنك في الحقيقة سيدتي كما قال الشاعر بعض أعز علي من نفسي.

ولكن أسأل ملهم الرشاد أن يبقني لنا وجودك رحمة للعباد وأمنا للبلاد وقد نظرت في بعض دواوين الأوراد نقلا عن الامام الشافعي رحمه الله تعالى أن من

داوم على دعاء اللهم إني أسالك اللطف فيما جرت به المقادير صباحا ومساء
عدد حروف اسم اللطيف تسعا وعشرين كان ملطوفا به ومحفوظا في حركاته
وسكناته.

ولنا في مقتضى الحال ومناسب هذا المقال:

فَلَا أُنْسَاكَ مَهْمَا عِشْتُ يَوْمًا *** حَيَاتِي ثُمَّ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَلَا أُنْسَى جَمِيلَتَكُمْ عَلَيْنَا *** وَمَا أَسْدَيْتُمْ لِي مِنْ كَرَامَةٍ
لِأَنِّي عَبْدُكَ الْمَوْسُومُ حَقًّا *** بَرَقَ دُونَ عِتْقٍ أَوْ عِلَامَةٍ
لَقَدْ أَحْبَبْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِي *** مِنَ الرَّحْمَنِ تَلَقَّاكَ السَّلَامَةَ
فَأَنْتَ أَجَلٌ⁴¹ *** وَغَيْرُكَ عِنْدِي أَصْغَرُ مِنْ قُلَامَةٍ
وَلَسْتُ أَزَالُ طُولَ الدَّهْرِ أُثْنِي *** بِمَا يَزِدُّهُ مَدْحًا أَلْفُ قَامَةٍ
وَلِإِنِّي غَرَسُ إِحْسَانٍ إِلَيْكُمْ *** يُرِيدُ تَفَقُّدَ السَّقَمِ عَامَةٍ
وَدَامَنِي لَكُمْ تَجْدِيدُ عَهْدٍ *** لِيَبْقَى الْوُدُّ مَرْفُوعَ عِلَامَةٍ⁴²
أَفْدِيكَ بِالرُّوحِ وَالْأَهَالِي *** يَا نَسْمَةَ الْعَنْبَرِ الْمُكْرَمِ
وَنَسْمَةَ النَّدَى وَالْعَوَالِي *** مِنْ كُلِّ طَيْبٍ وَمِسْكِ أَذْفَرِ
لَوْ كُنْتُ فِي فُسْحَةٍ اخْتِيَارِي *** قَاسَمْتُ عُمْرِي وَزِدْتُ الْأَكْثَرَ
أَبْقَاكَ رَبُّ الْعِبَادِ فِينَا *** بِكُلِّ خَيْرٍ وَفَضْلٍ أَشْهَرِ
وَصِحَّةِ الْبَدَنِ وَالْعَوَافِي *** تَرَا عَلَى جِسْمِكَ الْمَوْقَرِ
أَعْنِي بِهَا بَضْعَةَ الْإِمَامِ *** ابْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْمَذْكُورِ
بِاللَّهِ مَعَ سُنَّةِ النَّبِيِّ *** مُحَمَّدِ الْهَاشِمِيِّ الْمُنَوَّرِ
زَيْنَبَا السُّتُ بِالْقِيَامِ *** وَلِصِّيَامِ الْأَيَّامِ تَصْبِيرِ
تَصُومُ عَنْ غَيِّبَةٍ وَذَنْبٍ *** وَيَكْثِيرِ الْأَوْرَادِ ثَقُورِ
سَهَرَهَا ذَكَرُ ذِي الْجَلَالِ *** وَفِي دُرُوسِ الْعُلُومِ تَنْظُرِ
هَيْئَتِ⁴³ بِالْمَوْسِمِ الْكَرِيمِ *** مَوْسِمِ الْأَضْحَى وَالْعِيدِ الْكَبِيرِ
لِمِثْلِ أَمْثَالِهِ أَحْيَاكُمْ *** إِلَهْنَا⁴⁴ الْبَارِئُ الْمَصُورِ
مَا زَالَ يَلْقَاكُمْ بِسَلَامٍ *** فِي كُلِّ عَامٍ وَكُلِّ أَشْهَرِ
يُؤَمِّنُهُ نَخْرُ كُلِّ سَقِيمٍ *** يَذْهَبُ عَنْكُمْ وَلَيْسَ يَظْهَرِ
فَأَنْتَ شَمْسُ الْإِقْلِيمِ هَذَا⁴⁵ *** تُضِيئُ فِيكَ وَالنِّبْرُ الْأَحْمَرِ
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ لِلْعِبَادِ *** يَكُمُ بِلَادُ الْمَحَلِّ تَخْضَرِ

ولا تنسينا من صالح دعواتكم... وعليكم انتهى السلام من ابنكم مقبل...
 احمد محمد الصالح بن احمد بن صالح القماري رعاكم الله

46



بصدقه جلاله جل جلاله وتعالى عن كماله يصل كنشأ الى الشريعة
 اما صلبه والخرى الجليله والبرق الشريفة سلبقة كساعة التحققت
 وقدوة السالكين اياهم كانت انتم المعجزات المستفاد اليه يسير
 انزل الى الفلاس الحكم الله على ضلالتهم شكايب الرعدة والرقصان وعبد
 غلظه وردا حده في ديسل الجنان اسير السلاسل القدر الذي بالمضام
 بيع جميع ما دامت اللبلاء واللبلاء كيف يسير والتمه فيه بولس احوال
 ان كية اجاب موقعا طيف ما موكب على قلع السنة التجويد وسعنا على
 الجيب الدارج منه على مة أمين وبعض ما لحاصل في علم نفسهم هذا
 الكتاب امة في ديد انهم في انسابه لا زالت واذ ان اسرار علم كل
 مارة وصادق حتى بلغ من بعض الخطا حتى نكده ربه العيش وشار
 افعله من تشو يش وهو انه حصل السيرة بعض التي اوج من اج بلغ
 من الجسد لشرب كتاب الجسد بعد سلا لا سمعت من هذه الجنب
 التبرع المهر وانهم في ضلالتهم بد القوي التبت وتضرع ابيه وكاد
 هذا الخلق العاجي فانه المالك والجبب العجاي حتى صلت
 اما كتاب الاما هنية وحقق العنانية الربا نفع وتصوره على ذلك
 وزدته الشكر على ما فعله لك ملو وجدت سيرة لظهور مستك غير
 مشكرا انصب القوي لانك في الحقيقة سيرة كمد فالاش
 تعبر اعتر على من نفع في ذلك اسفل اسفل الفلاد ان يغفل
 وجودك وحده للعباد وامن للبلاد وقع نفق في بعة دواوين الاوراد
 نغلا على العلم الشامي له انه كما ان من دأرو على دعاء الله اني
 بعد ذلك اللخب جهل في يد المهاد في صلا حاد وسمعت عدي ووب اس
 الكمية تشبه وعشي كان ملوك قلبه وجميعه في كراته وسكنات
 ولنا ارجو مقصود في العلم ونسب هذه الفان
 فلا انساني معهما كعشت فيوما
 خباتي في بعة اقيام
 ولا انفس جميعك كاي
 وما استفتح لي من كسامة
 لما كند في المعنوع حفا
 برقة ون كفت او كلام
 لقد احييت من بعد مؤني
 من انهم ان تلقا في السلا
 انما ان قل في كنية
 وكند في آخر من كلام
 ولستم اراي كوني انهم اني
 على يزد اذ عذبا لى فلام
 واغفر اخسان ابي
 يريد فيقدا ايا السقي كلام
 ودائمة نك في ديد كفا
 يفر الوهم في جوع كلام
 اوه في الورقة

- 1 شجرة نسب الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الهاملي نسخة مصورة من مكتبة الهامل
- 2 عبد المنعم القاسمي زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862-1962، ط 02، دار الخليل للنشر والتوزيع الجزائر 2013، ص 102-103
- 3 منير القاسمي: زاوية الهامل التاريخ المصور، دار الخليل القاسمي المسيلة 2007، ص 26
- 4 منير القاسمي المرجع السابق، ص 33
- 5 عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل، المرجع السابق، ص 113
- 6 عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل، المرجع السابق، ص 128
- 7 أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي طبعة خاصة، عالم المعرفة الجزائر، ج 3، ص 220
- 8 منير القاسمي: المرجع السابق، ص 55
- 9 سعد الله: المرجع السابق، ج 4، ص 164
- 10 منير القاسمي: مرجع سابق، ص 57
- 11 رسالة للسيدة زينب مخطوطة بالمكتبة القاسمية بالهامل
- 12 أبو القاسم سعد الله: نفس المرجع، ج 4، ص 164
- 13 قصيدة القماري في مدح لالة زينب اللوحة 01
- 14 زودني بها السيد الشريف محمد فؤاد القاسمي أمين المكتبة القاسمية وهو مشكور حيث أعدتها للمشاركة في الملتقى الدولي الذي عقد في مستغانم حول المرأة من خلال الكتابات الأدبية.
- 15 اللوحة الأولى من المخطوط
- 16 اللوحة الأخيرة من المخطوط
- 17 اللوحة الأولى من المخطوط
- 18 المخطوط اللوحة 2
- 19 المخطوط اللوحة 2
- 20 المخطوط اللوحة 2
- 21 المخطوط اللوحة 2
- 22 المخطوط اللوحة 2
- 23 المخطوط اللوحة 2

- 24 سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي ج 4 ص 162
- 25 سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ، ص 163
- 26 سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 04 ص 164
- 27 انظر ترجمته: عمر بن قينة: الديسي حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، د س ط
- 28 انظر ترجمته: محمد بسكر : أعلام الفكر الجزائري من خلال أثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج 1 ، دار كردادة للنشر والتوزيع الجزائر 2013 ، ص ص 308-310
- 29 أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 3 ص 221
- 30 أبو القاسم سعد الله : نفسه ص 222
- 31 أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 6 ص 341
- 32 أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4 ص 164
- 33 انظر: محمد فؤاد خليل القاسمي : فهرس بعض مخطوطات المكتبة القاسمية، الجزائر 2000 .
- 34 سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 6 ص 341
- 35 لهذا السبب لم يتم وضع ترجمة لها في فهرس مخطوطات الزاوية القاسمية حسبما أخبرني السيد فؤاد القاسمي صاحب الفهرس عند لقائي به على هامش ملتقى الخط وصناعة المخطوط العربي بالمسيلة يوم 17 نوفمبر 2015
- 36 محمد بن عبد الرحمن الديسي: هدم المنار وكشف العوار ، شرح و مراجعة عبد الكريم قذيفة، الجمعية الثقافية للعلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي ، ط 2 ، 2013 ، ص 23
- 37 سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 6 ص 341
- 38 عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل ، ص 179
- 39 عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل ، ص 367
- 40 سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي ج 6 ص 342
- 41 صدر البيت غير واضح نتيجة تلف أصاب المخطوطة
- 42 نهاية اللوحة 1 من المخطوط
- 43 في المخطوط "هنيت" وصححت
- 44 في المخطوط "إلهنا" وصححت
- 45 في المخطوط "هاذا" وصححت
- 46 نهاية اللوحة 2